سنة التغيير في المجتمعات ( 1 )

**بحث في الدعوة وأصول الدين**

**أ . فاطمة محمد صالح الخضور**

**قسم الدعوة وأصول الدين**

**كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية**

**شاه علم – ماليزيا**

fatemaseaje@yahoo.com

**خلاصة: يبحث هذا البحث في سنة ربانية وردت في القرآن الكريم ، وتتناول مدى فهم المجتمعات لها وأخذها بها ، بحيث يرتبط مدى تقدم وقوة المجتمع أو تخلفه وضعفه بمدى أخذه بسنة التغيير .**

 **كلمات مفتاحية : سنة التغيير ، التوكل ، التربية .**

1. **المقدمة**

 **اذا ما اراد أي مجتمع كان ، سواء كان مسلما أو كافرا أن بتقدم ويتطور وينهض ، فعليه ان يحدث تغييرا في أنفس أفراده ، ويتحمل مسؤولية إحداث هذا التغيير كل فرد مع نفسه ومع من حوله في مجتمعه ، كذلك الدولة والمؤسسات والجماعات ، ويحدث العكس للمجتمع ان لم بأخذ بأسباب القوة والتطور والتقدم فانه يتأخر ويضعف وينهار ، وهذا ما حدث مع كل حضارة في التاريخ الانساني .**

1. **موضوع المقالة**

 **لقد وضع الله سبحانه وتعالى سنن وقوانين ثابتة في هذا الكون ، ومنها سنة تغيير المجتمعات والذي نفهمه من قوله تعالى : (نَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) (الرعد 11 ) ، أي أن تغيير حال المجتمعات من الضعف الى القوة ومن الكفر الى الايمان ومن التأخر الى التقدم والعكس مرتبط بأن يغير الناس ما بأنفسهم من قيم وأفكار ومفاهيم ومشاعر . فإذا ما سادت القيم الصحيحة في مجتمع ما فان له فوائد مهمة في التغيير منها: حماية المجتمع من انتشار الجرائم والفواحش ، وتدفع أفراد المجتمع الى التماسك والتكافل ، أما اذا ضعفت القيم الصحيحة وحل مكانها القبم السيئة فانها تؤدي الى تغيير عكسي من انتشار الجرائم والفواحش وتفكك الاسرة . ويقول الله عز وجل : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ( الانفال:53)**

 **ويقول سبحانه: " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " (طه123-124)و هذه آية تمثل سنة ثابتة مفادها أن الله لن يغير حال قوم من وضع مرضي مريح إلى وضع ضنك مذموم أو العكس إلا إذا غير هؤلاء القوم ما في قلوبهم، فإذا وجهوا قلوبهم إلى مولاهم وامتثلوا أوامره وابتعدوا عن نواهيه غيّر الله حالهم إلى أحسن حال، وإذا توجهت قلوبهم إلى الشهوات وارتكست أنفسهم في حمأة الرذيلة غيّر الله حالهم إلى أسوأ حال .**

 **كما أن للتربية التي يمارسها المجتمع على أفراده دور كبير في إحداث التغيير المنشود ، فالتربية التي تقوم على احترام الانسان وحفظ كرامته فانها تشجع التفكير والابداع والبحث العلمي البناء، كما انها تنتج جيلا يعبر عن رأيه بشجاعة مما يكون قادرا على تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات . بينما التربية التي تقوم على القمع والتلقين فانها تهيء مناخا مناسبا للاستبداد السياسي والاجتماعي ، وتهدر حقوق الانسان وكرامته ، مما تنتج جيلا ضعيفا متخلفا غير منتج أو مبدع ، لا يقدر على تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات .**

 **أما على صعيد التقدم المادي للمجتمعات : فإن المجتمعات التي تأخذ بأسباب التقدم المادي من اتقان العمل ، والاهتمام بالعلم ، والحرص على الموارد ، واستغلال الوقت واحترامه ، ووضع الانسان المناسب في المكان المناسب ، فان تلك المجتمعات ستحرز تقدما ورقيا بخلاف المجتمعات التي تعاني من المحسوبية وإهدار الوقت والموارد . وهذا كله مما حث عليه الاسلام ودعى اليه رسولنا صلى الله عليه وسلم ، فكانة همه في بداية الدعوة الاسلامية ترسيخ العقيدة والايمان في القلوب بعد ان طهرها من الوثنية والشرك والعصبية ، وعمل المسلمون بهذه السنة فأنشأوا حضارة سادت وارتقت في مقدمة الامم والشعوب وعندما تخلت عن ذلك انهارت وتأخرت للخلف .. .**

 **كما ان الله سبحانه يغير حال الفقر إلى حال الغنى وييسر الأرزاق إذا غيّر الناس ما بأنفسهم، فوثقوا فيما عند الله، وابتعدوا عن الحرام، وسعوا إلى طلب الحلال، فيرزقهم إذا حققوا التقوى والتوكل، فهو القائل: " وَمن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"( الطلاق 2-3)**

**فيتبين لنا ان هذه السنة الربانية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وتسري على جميع المجتمعات مسلمها وكافرها،حيث يقول سبحانه تعالى :" سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا " .**

 **ونتيجة لذلك، فالتغيير في واقع الدعوة ومحيط الدعاة يتوقف على بذلهم ما في الوسع لتتوجه الجهود إلى العمل الجاد في التغيير الذي يبدأ من داخل النفس، ومن داخل الصف المسلم. ومن ثَمَّ تنفذ فيهم سنة الله تعالى في التغيير، بناءً على تعرضهم لهذه السنة من خلال سلوكهم وأعمالهم(1) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ (العنكبوت : 69 )**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**الهوامش :**

1. **أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (سوريا، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، 1980م)، 2/504 .**

**المصادر والمراجع :**

**1-القرآن الكريم**

**2-** **أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (سوريا، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، 1980م)**

3**- د.يوسف القرضاوي ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم ،دار الشروق ، القاهرة ،ط3\2003م**

**4- محمد الطاهر ابن عاشور،التحرير والتنوير ،دار سحنون، تونس .**

**5-محمد رجب بيومي،النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين،دار القلم،دمشق،ط1\1995م**

**6- غازي التوبة \ أبو الاعلى المودودي فكره ومنهجه في التغيير\دار البشير\عمان\ط1\1996م**